

www.ikhwanweb.com

Ikhwanweb Tarjamat

IkhwanScope.com

قبلة الموت
هاني شكر الله- ديلي ستار- القاهرة مصر

ماذا يمكن لأمريكا أن تفعله للمساعدة في تعزيز تحقيق الديمقراطية في مصر؟ كان هذا سؤال صديق أمريكي متصل بدوائر صنع السياسة الأمريكية كان قد وجهه إلي مؤخرا. كانت إجابتي المعتادة لمثل السؤال الملح تحديد هي: أن تجعل إسرائيل ديمقراطية.“

فأهم حليف وشريك استراتيجي لأمريكا في الشرق الأوسط هو دولة تعرف نفسها بأنها دولة يهودية ، بها 20 في المئة من السكان من العرب الفلسطينيين ، ويوجد بها 5.3 مليون شخص يتسبون على ما يزيد عن 5 ملايين آخرين، منهم 3.7 مليون (فلسطينيو غزة والضفة الغربية) محرومون من الحقوق تماما (فالحكم الذاتي الفلسطيني مازال وسيظل دائما مهزلة، ومع ذلك نجد كل هذا التناحر الداخلي على من الذي يحكم في ترتيب لحكم ذاتي مفرغ من معناه بشكل فعال، وتمسك إسرائيل بكل خيوطه- من المال وحتى الحياة نفسها). فلا أحد منها يستطيع على ما يبدو أن يقدم للولايات المتحدة النموذج المناسب لتشجيع الديمقراطية في المنطقة. وإضافة إلى ذلك، إنني أومن منذ زمن بعيد أن ديكتاتورية العرب متصلة بشكل وثيق بظلم إسرائيل ومصادرتها المستمرة لحقوق الفلسطينيين، وعدوانها ضد الدول العربية المجاورة وهذا ليس لأنه يوفر فقط للأنظمة العربية المتسلطة زريعة ممتازة لحماية الجبهة الداخلية أو الأمن الداخلي ضد التهديد الأجنبي (الحجة التي أصبح الأمريكيون على معرفة بها إلى حد ما منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر)، ولكن السبب وبدرجة كبيرة هو الآثار المشوهة بشدة لهذا الاضطهاد الذي لا يبدو له نهاية للفلسطينيين والعرب على المناخ السياسي والفكري في العالم العربي

كان يمكن ان أذكر أيضا : "إنهاء احتلال العراق، وترك إيران وشأنها، والتوقف عن النفخ في كير صراع الحضارات، ومحاولة الامتناع عن إصدار تصريحات تصف دمار لبنان وقتل الآلاف من المدنيين اللبنانيين بأنها مخاض لميلاد شرق أوسط جديد، وعدم تمرير قوانين تفر التعذيب، ومحو الإجراءات المناسبة والاستخفاف بمدير محاكمة عادلة والتوقف عن محاولة إضعاف القانون الإنساني الدولي بتقويض اتفاقيات جنيف.

قلت لا أحد من كل هذا ذا أهمية. لقد كان محادثة هادئة ودودة. لم أكن في مزاج إلقاء محاضرة . ولم أكن بخلاف الكثير من زملائي المفكرين، أبذل جهدا للتعلم من الخبرة. لقد كان تدريبا على العبث . رغم أن مخاطبي الأمريكي كان مهذبا ولكن توجد داخل عقله عجالات صغيرة تسير نحو مقصد أن "نفس الشيء، شخص عربي آخر لا يلومون إلا أنفسهم لفشلهم. وعيي بهذا الخط المحدد من التفكير دفعني إلى أن أشاركه الرأي.

وبدلا من ذلك، اقترحت أنه بدلا من التحسر على سجن زعيم حزب الغد أيمن نور، ينبغي على الرئيس جورج دبليو. بوش أن يصدر تصريحاً قويا يدافع فيه عن

الإخوان المسلمون ويطالب بقبولهم قانونيا كحزب سياسي ويدين عملية الكبت المستمرة تجاههم. ورغم كل شيء، فالإخوان أصبحت أكبر معارضة سياسية في البلاد، فهم يشغلون 87 مقعد برلمانيا، وما زالوا يحصلون على النصيب الأكبر من الكبت السياسي. مثل هذا التصريح الذي أشرت إليه سيكون مساويا لضرب قطيع كامل من الطيور بحجر واحد.

إنه صحيح ومناسب. فبغض النظر عن حب الإخوان أو كرههم، فلا يمكن إنكار أن الاعتراف بهم ككيان سياسي قانوني مهم جدا لتحقيق حتى ما يشبه عملية سياسية ديمقراطية في البلاد علاوة على ذلك، فإن تصريحا أمريكيا عالي المستوى دفاعا عن الحقوق الديمقراطية للإخوان سينجح في التصدي لتهمة المعايير المزدوجة التي تنزرع بها كلا من الأنظمة المتسلطة والمعارضة المؤيدة للديمقراطية، في مصر وفي المنطقة، تجاه ادعاءات واشنطن بتشجيع حقوق الإنسان والديمقراطية في الشرق الأوسط.

وبإمكانه أن يساعد أيضا في التصدي للإدراك الحقود المتزايد، من المغرب إلى باكستان وما بعدها، بأن حرب واشنطن المتواصلة على الإرهاب هي، في الحقيقة، حرب ضد إسلام والمسلمين، وأنها حملة جديدة تستهدف إضعاف وتقويض المجتمعات المسلمة ومحو هويتنا الدينية والثقافية وفرض الديمقراطية والإباحية والفساد على الطراز الغربي على شعوبنا. ومهما تكن هذه التهم غير عادلة، فإن تصريحا من قبل الرئيس بوش دفاعا عن الإخوان (مع أو حتى بدون فائدة وجود اتصال خاص من الله) سيكون إلى حد ما أكثر تأثيرا في تغيير قلوب وعقول العرب والمسلمين من مئة حفلة إفطار من تلك التي اعتاد استضافة الناس عليها طوال السنوات القليلة الماضية.

كما ان هناك حقيقة أنه منذ انتصار حماس الانتخابي في الأراضي الفلسطينية في أوائل هذا العام، خلص معظم العرب - وكذلك عدد كبير من الخبراء الأمريكيين في الشرق الأوسط - إلى نتيجة أن إدارة بوش غيرت موقفها إزاء الهدف المعلن الذي يمثل أولويتها القصوى بتشجيع الديمقراطية في الشرق الأوسط الكبير. وتؤكد مثل هذا الإدراك بشكل أكبر عندما قامت وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس بعد ذلك بقليل بزيارة مصر واجتمع مع الرئيس مبارك. وفي مقابلة لاحقة مع محرري الصحافة الحكومية، أكد مبارك أن السيدة رايس مقتنعة بأن طريقة مصر التدريجية للإصلاح السياسي هي الأسلوب المناسب الواجب اتخاذه وحتى أنها أخبرته بإيمانها بأن المطلوب مرور "جيل كامل" كي يمكن تحقيق الديمقراطية في العالم العربي. والحق أن الإدارة الأمريكية استمرت في الإصرار على أنها ملتزمة دائما بقضية تحقيق الديمقراطية في المنطقة، مع إصدار الرئيس بوش مؤخرا لتصريحات قد تكون أقوى ووردية بشكل متزايد بخصوص المسألة. ولكن، اسأل من هم حولك. فلن تجد أحدا يصدقها حقا. خاصة عندما يرون الولايات المتحدة وحلفاءها الأوروبيون يفرضون التجويع الفلسطيني لمارستهم حقهم الديمقراطي في اختيار حكومتهم حتى ولو كانت حكومة عاجزة.

واقترحت فكرة أخيرة على سبيل الدعابة. وهي أن إصدار الرئيس بوش لتصريح يدافع فيه عن الإخوان المسلمون في مصر، مع كونه صحيح ومناسب، سيفوق كل الجهود المستمرة للعلمانيين في الداخل من أجل إضعاف التأثير السياسي والأيدولوجي للجماعة.

تذكرت كل هذا عند قام أيمن نور السجين وحزبه الغد الأسبوع الماضي بإصدار وابل من التصريحات التي تنفي بشدة الضلوع في إرسال خطاب إلى الرئيس بوش لحثه على التدخل لإطلاق سراح أيمن نور. وقال تصريح رسمي صادر من حزب الغد أن الخطاب خدعة قامت بها وزارة الداخلية المصرية للتشهير بأيمن نور وتدميره سمعته من الناحية الأخلاقية".

وقبل ذلك بأسابيع، ذكر الرئيس بوش وزير التجارة الخارجية و الصناعة، رشيد محمد رشيد، تحديدا باعتباره نموذجا لشباب المصلحين في مصر الذين يعلق عليهم آماله في الإصلاح الاقتصادي والسياسي في البلاد. وسارع الوزير بإصدار تصريح ينفي فيه أي مسؤولية عن مجاملة بوش.

وقبل عامين، أعلن الرئيس الأمريكي دعمه الشديد للمصلحين في إيران. ففسروا الانتخابات.

في هذا الجزء من العالم ، يبدو أن قبلات الرئيس بوش تؤدي إلى وقوع أشياء مرغوبة.

هاني شكر الله هو مستشار بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ومحرر سابق بالأهرام ويكلي . ويكتب تعليق أسبوعي لذا ديلي ستار بمصر.